الدرس 15

الإدغام الكبير (1)

أهداف الدرس

- أن أتعرف حقيقة الإدغام الكبير لأبي عمرو البصري.
- أن أستخرج من المتن أسباب الإدغام وموانعه.
- أن أتبين موقع الإدغام المتماثل من كلمة ومن كلمتين.

تمهيد

تناول الناظم رحمه الله الإدغام الكبير بعد الكلام على الفاتحة؛ لأنه واقع فيها عند قوله: ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ﴾ وهو أصل من أصول القراءات التي اختص بها أبو عمرو البصري، ولذلك صرح به باسمه لما تقدم من أنه إذا انفرد القارئ بباب لم يُشاركه فيه غيرهُ ذكرهُ في ذلك الباب باسمه.

فما هو الإدغام الكبير؟ وما هي أسبابه وشروطه وموانعه؟

المتن

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

116- وَدُونَكَ الإدْغَامَ الْكَبِيرَ وَقُطْبُهُ *** أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ فِيهِ تَحَفَّلاَ

117- فَفِي كَلِمَةٍ عَنْهُ مَنَاسِككُمْ وَمَا *** سَلَكَكُمْ وَبَاقِي الْبَابِ لَيْسَ مُعَوَّلاَ

118- وَمَا كَانَ مِنْ مِثْلَيْنِ فِي كَلِمَتَيْهِمَا *** فَلاَ بُدَّ مِنْ إدْغَامِ مَا كَانَ أَوَّلاَ

119- كَـ: يَعْلَمُ مَا، فِيهِ هُدًى، وَطُبِعَ عَلَى *** قُلُوبِهِمُ وَالْعَفْوَ وَأْمُرْ تَمَثَّلاَ

120- إِذَا لَمْ يَكُنْ تَا مُخْبِرٍ أَوْ مُخَاطَبٍ *** أَوِ الْمُكْتَسِي تَنْوِينَهُ أَوْ مُثَقَّلاَ

121- كَـ: كُنْتُ تُرَاباً، أَنْتَ تُكْرِهُ، وَاسِعٌ *** عَلِيمٌ، وَأَيْضاً تَمَّ مِيقَاتُ مُثِّلاَ

122- وَقَدْ أَظْهَرُوا فِي الْكَافِ يُحزِنْكَ كُفْرُهُ *** إِذِ النُّونُ تُخْفَى قَبْلَهَا لِتُجَمَّلاَ

الفهم

الشرح:

وَدُونَكَ: إغراء، وهو اسم فعل بمعنى: خُذ.

وَقُطْبُهُ: قطبُ القوم سيّدهم الذي يدورُ عليه أمرُهم.

تَحَفَّلاَ: اجتمع، يُقال: تحفّل الوادي إذا امتلأ بالماء.

تَمَثَّلاَ: أمرٌ مؤكد بالنون الخفيفة وأبدلت ألفا للوقف، ومعناه: تشخَّصْ وتصوّرْ.

استخلاص المضامين:

- من هو القارئ الذي انفرد بالإدغام الكبير؟
- أستخرج موانع الإدغام الكبير.

التحليل

نتناول في هذا الدرس ما يلي:

أولا: تعريف الإدغام وبيان أنواعه وأسبابه وشروطه

الإدغام: لغة: هو إدخال الشيء في الشيء، وفي اصطلاح القراء هو: أن تصل حرفا ساكناً بحرف متحرك، بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً يرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحدة، وهو بوزن حرفين.

والإدغام ينقسم إلى قسمين: صغير، وكبير، فالصغير هو: أن يكون الحرف الأول ساكنا، والثاني متحركا، والكبير هو أن يكون الحرف الأول من الحرفين متحركا، وسُمّي كبيرا لتأثيره في إسكان الحرف المتحرك قبل إدغامه في الثاني، ولهذا الإدغام أسباب، وشروط، وموانع.

فأسبابه ثلاثة: التماثل، والتقارب، والتجانس.

وله شرطان:

الشرط الأول: التقاء المدغم بالمدغم فيه خطّاً، وهو يعم المثلين والمتقاربين، فخرج نحو: ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾ [العنكبوت:50] فلا إدغام فيه محافظة على حركة النون لأن الألف فاصلة بين النونين تقديراً، ولذلك لابد منها في الوقف، ودخل نحو: ﴿سُبْحَانَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [يونس:68] و﴿مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [آل عمران:180]؛ لأن صلة الضمير لا تمنع الإدغام؛ لأنها تذهب عند الوقف.

الشرط الثاني: أن يكون المدغم فيه أكثر من حرف إذا كان الإدغام في كلمة. ليعُمَّ نحو: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:20].

وموانعه أربعة: سيذكرها الناظم في قوله: «إِذَا لَمْ يَكُنْ تَا مُخْبِرٍ....».

ثانيا: انفراد أبي عمرو البصري بالإدغام الكبير

وهو ما أشار الناظم بقوله:

وَدُونَكَ الإِدْغَامَ الْكَبِيرَ وَقُطْبُهُ * أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ فِيهِ تَحَفَّلاَ**

فقد أمر الناظم رحمه الله مخاطبه بالأخذ بالإدغام الكبير لأبي عمرو؛ لأنه قطبهُ الذي يدُور عليه أمرُه، فهو الذي احتفل به ونقله واحتج له، وعنه اشتهر من بين القراء.

وعزا الناظم رحمه الله الإدغام الكبير إلى أبي عمرو من روايتيه: الدوري والسوسي كما فعل الداني في التيسير.

وإدغام المثلين عند أبي عمرو إما أن يكون من كلمة، أو من كلمتين:

1 – إدغام المثلين المتحركين من كلمة واحدة، أشار إليه بقوله: «فَفِي كِلْمَةٍ عَنْهُ مَنَاسِككُمْ وَمَا سَلَكَكُمْ»، والمعنى: إذا التقى المثلان من كلمة فإنه يُدغم الكاف في الكاف في كلمتين فقط. وهما: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [البقرة:199]، و﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدّثر:41].

وحصَر الناظمُ الإدغام في هاتين الكلمتين؛ لأن هذا هو المنقول عن أبي عمرو والمُعوّل عليه، وما عداهما من اجتماع المثلين في كلمة نحو: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:37] و﴿بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:14] فإنه وإن رُوي عنه إدغامُه لكنهُ متروك لا يُعوّلُ عليه، كما قال: «وَبَاقِي الْبَابِ لَيْسَ مُعَوَّلاَ».

2 – إدغام المثلين المتحركين من كلمتين، أولُهما آخر كلمة، وثانيهما أول كلمة أخرى، فلابُدّ من إدغام الحرف الأول بعد إسكانه في الثاني بشرط ارتفاع المانع الآتي بيانه، وإلى ذلك أشار بقوله:

وَمَا كَانَ مِنْ مِثْلَيْنِ فِي كِلْمَتَيْهِمَا * فَلاَبُدَّ مِنْ إِدْغَامِ مَا كَانَ أَوَّلاَ**

ثم ذكر الأمثلة فقال:

كَـ: يَعْلَمُ مَا، فِيهِ هُدًى، وَطُبِعَ عَلَى * قُلُوبِهِمْ وَالْعَفْوَ وَأْمُرْ تَمَثَّلاَ**

فقد مثل بأربعة أمثلة تضمنت ثلاثة أنواع عليها مدارُ الباب، وذلك أن الحرف المدغم إما:

- أن يكون قبله متحرك، نحو: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:254] و﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:88].

- أو يكون قبله حرف مد ولين، نحو: ﴿فِيهِ هُدًى﴾ [البقرة:1].

- أو يكون قبله حرف ساكن صحيح، نحو: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف:199] والروايةُ في قراءة المثالين الأولين والأخير في بالبيت بالإظهار وهاء «فيهِ» بالصلة للرواية، وإن جاز حذفها. و﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ﴾ بالإدغام وصلة ميم ﴿قُلُوبِهِمْ﴾.

ثالثا: موانع الإدغام

ذكر الناظم رحمه الله موانع الإدغام، وهي أربعة:

1 - أن يكون الحرف الأول من المثلين تاء مُخبِر، أي: ضميرا هو تاء دالة على المتكلم نحو: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ:40] وإليه أشار بقوله: «إِذَا لَمْ يَكُنْ تَا مُخْبِرٍ» أي: «تاء» وهو بالقصر للضرورة.

2- أن يكون الحرف الأول تاء دالة على المخاطب، نحو: ﴿آلْآنَ وَقَدْ كُنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ [يونس:99] وإليه أشار بقوله: «أو مخاطبٍ».

3 - أن يكون الحرف الأول مُكتسياً بالتنوين، نحو: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:114] وهو المراد بقوله: «أوِ الْمُكْتَسِي تنْوِينَهُ» وأشار بذلك إلى أن التنوين كالحلية والزينة للكلمة، وأسكن ياء «المكْتَسِي» ضرورة؛ لأنه في الأصل منقوص ومنصوب عطفاً على «تَا».

4 - أن يكون الحرف الأول مُثقلاً، نحو: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ [الأعراف:142].

والشاهد على ذلك قوله: «أَوْ مُثَقَّلاَ» أي: مشدّداً.

ثم جمع أمثلة الموانع الأربعة فقال:

كَـ:كُنْتُ تُـرَاباً، أَنْتَ تُـكْـرِهُ، وَاسِـعٌ * عَـلِـيـمٌ، وَأَيْـضـاً تَمَّ مِيقَاتُ مُثِّـلاَ**

وقولهُ: «مُثِّلاَ» مستأنف، أي: مُثِّل به الموانعُ الأربعة، أي: يتعين إظهار الحرف الأول في هذه الأمثلة وأشباهها متى وُجد أحدُ هذه الموانع الأربعة.

ثم أخبر أن رواة الإدغام عن أبي عمرو أظهروا الكاف عند الكاف من قوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ [لقمان:22] وإليه أشار بقوله: «وَقَدْ أَظْهَرُوا فِي الْكَافِ يُحزِنْكَ كُفْرُهُ» أي: أظهر رواة الإدغام هذا المثال ولم يُدغموه، وبه أخذ الداني في «التيسير»، وعليه عوّل الناظم، ثم ذكر تعليل الإظهار فقال: «إِذِ النُّونُ تُخْفَى قَبْلَهَا» أي: أظهروا الكاف لأن النون الساكنة قبلها أخفيت، فانتقل مخرجها إلى الخيشوم، فصعب التشديد بعدها، فامتنع الإدغام، وقوله: «لِتُجَمَّلاَ» تعليل لإظهار الكاف، أي: لتجْمُلَ الكلمة ببقائها على صورتها، وهو إظهارها.

التقويم

1. أعرف الإدغام الكبير وأذكر سبب تسميته بذلك.
2. أفصل القول في مذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير في كلمة وفي كلمتين.
3. أبين موانع الإدغام والسر في هذا المنع.

الاستثمار

قال الحافظ أبو عمرو الداني رحمه الله:

«كان قوم لا علم عندهم، ولا دراية لهم، ينكرون القراءة بالإدغام، ويزعمون أنه يؤول إلى تغيير ألفاظ الحروف، ويُزيلُ معاني الكلِم، وأن ذلك مما انفرد به أبو عمرو، ولا مادّة له، وأنه عن قراءة أهل الأثر بمعزل، وهذا قول من لم تتحقّق معرفتُه، ولا استكملت درايتُه، ولا لقي العلماء، ولا شاهد الفقهاء، ولا روى الآثار، ولا قيّد الأخبار، إذِ الأمرُ بخلاف ما قاله، وعلى غير ما ظنه وقدّرَه». [الإدغام الكبير لأبي عمرو الداني: ص77-78].

- أستخرج من النص صحة قراءة الإدغام الكبير والرد على منكريها، مستعينا بكتب اللغة والقراءات.

الإعداد القبلي

أحفظ متن الدرس القادم وأجيب عن الآتي:

1. أعدد الكلمات التي فيها وجهان: الإدغام والإظهار.
2. أجرد الألفاظ التي فيها الإدغام اتفاقا أو على الراجح.
3. أذكر الكلمات التي يتعين فيه الإظهار.